# يوميات كاتبة من الأرياف

## السطر الأول

عفاف حسين

عن كونك وحيد، لا يد تمتد لتنتشلك من ظلامك، ولا نور يلوح في الأفق يمنحك بعض الأمل، عن حزن يكسو روحك فيطفئ الضوء الذي يحيطك، عن شك يستوطن قلبك؛ وخوف تزداد رهبته يوم بعد يوم.. عن كونك شخص استثنائي.. غريب.. لا على الأرض من يفهمه.

يقولون عنها عِفَّه

# نـهاية البداية

هتبدأ النـهاية أول ما حبك يتخطى حدود المقابل من الطرف الآخر، يعني.. لا تمنحي أشياء ثمينة لأشخاص ترينـهم ملائكة الله في أرضه، إياكِ... توقفي.. تمهَّلي قليلا حين تصلين إلى تلك النقطة، واعلمي أنكِ بصدد إتلاف نقاءك، وضياع هيبتك، تنـازلات متتالية تناديكِ، بكاء وأوجاع تتوسلك التمهل.. لا تعطي رجلا محبة لا يمنحك محبة ضعفها، لا تفرطي بقلبك لمن لا يستحق في سبيل آمال كاذبة ووعود زائفة، الوعود لا تصنع الرجال.. وما كل من وعد كان صادقا، ولا كل من ظنناه حبيبا كان يقينا يحبنا.

ستكتشفِ بمرور الوقت أنك بذلت نفسك في سبيل رجل لا يستحق، ستندمين على كل لحظة انتظرتها أو تبعتي إحساسا داخلك كان مزيفا، لا تحبي رجلا لم يعبر لكِ عن حبه تحت مسمى الالتزام.. لا تقتربي من شاب ملتزم فإنـها نـهاية البداية.

نقطة ومن آخر السطر.

دقت أجراس الكنيسة.. وعلى ضجتها استيقظت هي، ثُرى في أي يوم نحيا، لا تدري.. أكتفت بأن تغادر إلحاح عقلها.

وقفت أمام نافذة غرفتها المطلة على الكنيسة، شعرها المتطاير؛ وتكاسلها في الإفاقة، عادت تسأل نفسها:

أي الأيام هذا؟

حسنا لا يهم فكل الأيام واحده، لا جديد يكسر روتيني.

ارتدت ثوبها المرصع برسمة دوار الشمس وسط مربعات ذات لون أزرق، تمايلت مع حقيبة اليد الصفراء التي تطيح بها مع نسمات الهواء الذي يداعب شعرها الأشقر المجعد متوسط الطول.

توقفت فجأة وكأن أمامها بركة ماء تكاد أن تهوي بها رددت بصوت مسموع:

أنا في يوم الذكرى.

أستقطب أنتباهها صوت ينادي: آنا هيا إلى هنا بسرعة.

أجابت: سأتبعك في الحال يا هَيَا.

جزعت من هَيَا التي لم ترحل؛ بل ظلت مكانها تنتظر وصولها، تحركت نحوها في ضجر وبخطوات تتسابق، وكأنها ستقتلها حين تُمسك بها، وقبل أن تفعل ذلك قالت:

أتى الطبيب النفسي الذي كنتِ تنتظرينه يا آنا، سررت كثيرا لسماعك هذا الخبر أليس كذلك؟

هدأت من روعها وصمتت كأنما تستمع لدقات قلبها المتسارعة، ثم قالت:

لقد أتى متأخرا جدا يا هَيَا.

_ حتى وإن قدم في توقيت متأخر من مشورتك، فلتقوليها.. نعم أخبريه بما كنت تودين ليجيبك ويشفي حيرتك وتأخذين خبرات للأيام القادمة، فما بقي أجمل من أن يعكره الماضي.

_صدقتِ يا هَيَا، خذيني إليه.

طرقت باب منزل مجاور للكنيسة، ابتسمت هَيَا وألقت على رجل طل من خلف الباب بنظارته وشعره الأسود وقامته الطويلة، ابتسم حين راها، عاود إليها التحية وأشار إليها بالدخول.

جلست الفتاتان على أريكة بينا جلس هو على كرسي مواجه لهما، قابل بابتسامته قول هَيَا:

هذه آنا أيها الطبيب قد أخبرتك عنها سابقا.

رد مرحبا بآنا.

كان للطفه وبشاشة وجهه دور كبير في جعل آنا تتجرأ وتفصح عن سؤلها؛ وبدأت تروي ما يشغلها:

مرحبا أيها الطبيب.. تمنيت لو اني قابلتك منذ بضعة أشهر أعتقد أنني لم أكن لأخسر رجلا لا يُعوض.

تبسم الطبيب ضحكة ساخرة أسكتتها للحظات، ثم عاد معتذرا وهو يعدل من وضعية نظارته مشيرا لها بأن تُكمل قولها، فتابعت:

رغم فراقنا لا أستطيع أن أهوى غيره، لا أرى سواه جميلا في عيني، لا أظن أن الأسباب التي قالها لي حتى يهجرني حقيقية، بل أعتقد أن الرتابة قد حلّت فشاء أن يجد من القدر ما هو جديد ومبهر.

سكتت فتحدث هو قائلا:

بداية يا آنا لا يوجد شيء من هذا القبيل، ليس هناك رجل لا يُعوّض هذا غير صحيح البتة، هناك تعويض لكل الخسارات، حبيبك السابق يعوض بحبيب آخر، تجربة فاشلة تعلمتي منها درسا جيدا تتلاشينه فيما بعد، وتبنين علاقات أخرى ناجحة، ما مضي سيمر يا آنا ما مضى لم تخسريه بل هو من خسر فتاة طيبة القلب ورائعة مثلك، إحمدي الله أنك لن تعوضيه بل ستجدي الأفضل منه، ويكفي إهدار لكنوز مشاعرنا.

أما عن كونك لن تهوي غيره فهي مسألة وقت، خذي وقتك في حزنك كما تشائين رغم أني أنصحك بأن لا تجعليها تطول كثيرا، أنتِ أولى بكل ثانية تمر عليك، لأن الحزن يجعل وجهك يتجعد فيبدو وجهك منذر عن عمر يتعدى عمرك الحقيقي بكثير، وأنا لا أظن أن هناك فتاة تحبذ هذا، ولكن في النهاية أعود وأقول لك كما تشائين.. أما عن الأسباب فمن قرر الرحيل يا آنا ما كان عليكِ أن تمنحيه فرصة لسرد أسباب، أراد الهجر فوداعا صحبته السلامة دون داع لسماع أكاذيب تحاولين إقناع نفسك بأنها حقيقة، ليس عليكِ أن تحملي روحك فوق قدرتها، ولا تكدسين الآهات بين جنباتك، ولا أن تفقدي المزيد من الدموع حتما فقدتي أضعافها في نواحي الحب الزائف هذا، أي حب هذا يا آنا! لو كان يحبك ما كان ليتفوه بحرف يؤذيكِ كيف بالذي أبكاكِ.

_ أتمنى لو كنت هنا وقتها، لكنت زحت عن كاهلي ثقل الندم وعتاب النفس..

أنا مخطأة أيها الطبيب لن أكذب، أشعر أنني ذهانيه او لدي نوع لا أعلم ماذا أطلق عليه، لكن لدي دكتوراه فخرية في الفقد، أفقد دوما الأشياء التي أحبها، فمثلا ما جعله يغادرني هو الخوف.

_أي خوف! هل بين الأحبة خوف؟ أين الأمان إذًا.

_ أخبرته بأشياء لا أريدها أن تحدث حتى أصل للاطمئنان والطمأنينة من إجابته.

_ ماذا تقصدين.

_ متلا قلت له سأجعله يتزوج بأخرى مستقبلا؛ رغم أني لا أود ذلك؛ ولن أفعل، ولن أدعه يحدث فبحدوثه موتي أيها الطبيب.

أعتقد أنه لم يتفهم غرابتي ورحل خوفا مني.

ضحكت مستهزئة ثم أردفت:

حتى انه تقدم لخطبة ابنة جيراننا.

قاطعها قائلا:

هل لازلت تتابعين أخباره يا آنا؟

أجابته:

لا، حقيقة لا أعلم لمَ بدأت أتراجع في اهتمامي الزائد به، وحرصي على معرفة أخباره، هذا الشيء بدأ يقل شيئا فشيئا، لا أعلم لماذا.

أسكتتها بشاشته التي تزيد شيئا فشيئا من قولها، فنصحها بأن تُكمل فتابعت:

من الممكن لأني كلما جاهدت تذكرت قسوة عباراته فبنَت بداخلي سد من ال..... من ال.... لا أعرف بم أسمي هذا الذي حدث لكنه شيء يرخيني ويجذبني للوراء كلما حاولت الاقتراب منه، صدمتي به كانت أكبر من طاقة تحملي.. هل هي صدمة أم صفعة خذلان؟

أجابها:

هي شيء أكبر من هذا وذاك، شيء بدون اسم؛ هو فقط بدون كلمات تصفه.

أتساءل كثيرا في نفسي كيف هُنت؟ أجيبني لم يكن يحبني فكيف لي أن لا أهون أو أهون.. فأنا لا شيء، أنا لا شيء إطلاقا.

سألها:

أشعر أنكِ تودين البكاء، يمكنك فعل ذلك لا تخجلي.

_ لاا، لا أريد البكاء، انعدمت رغبتي في البكاء كما أني لا أستطيع، فكلما أوشكت مدامعي أن تبوح أسكتها جمود روحي، أنا لست قاسية، حقا لم أكن كذلك من قبل.

_أصدقك يا آنا، فما وصلتِ إليه ما هو إلا نتيجة لانكسارات متتالية من ذاك الشخص بعينه.

_ انا لا أصدق كيف له أن يقبل بفتاة غيري، ويسكتني ذاك الجواب بأني عنده ليس كما هو عندي.. فأصمت.

_كان عليكِ أن تكوني أذكى من ذلك، حين لم تجدي مقابلا لما تقدميه من صدق المشاعر كان عليكِ الرحيل فورا، ومغادرة المكان الذي لا يسع محبتك.. نغادر الأشياء عنوة يا آنا.

_سئمت أفلت يد الأشياء التي أحبها أيها الطبيب.. تمسكت بالأشواك رغم كونها تؤذيني خوفا.

لم يعلم بماذا يجيب فهو الذي قضى جُلّ حياته يفلت يد الأشياء التي يحبها.. حتى انتهى به الأمر وحيدا بين أربع جدران لم يقوى على هزيمة انكساراته بعد.. وما كان تبسمه من قولها سابقا إلا لعلمه أنها اتخذت خطوة نحو اليأس لتدوس قدمها في قلب الوجع حتى تعبر إلى نور الجهة الأخرى.. تلك الخطوة التي لم يتجرأ على خطها من قبل.

**لا بأس بمزيد من الوجع،  مادام بعده سيطهُر قلبي.**

**يتبع.....**

**♡**

**الخميس**

**2:00**

**٢٠٢٢/٥/١٢**

**يقولون عنها عِفَّه.**